عثمان علي نور

فقط .. بعد اسبوع

كان يبدو كالمجنون ..

بل ان سائق عربة التاكسي ظنه مجنونا فعلا ، عندما رآه يخرج من باب حديقة الريفيرا ، وهو يأتي بحركات هستيرية من يديه، وكأنه يحطم رقبة شخص ما ، وسمعه يقول لنفسه بصوت مرتفع ، مشحون بالغضب : « بعد أسبوع .. بعد اسبوع واحد ! يامجرمة !»

فوجيء السائق بمن ظنه مجنونا ، يفتح باب العربة بقوة، ويقذف بنفسه داخلها ، ويقول له بصوت متوتر .

ـ الثورة .. ميدان الحارة الرابعة .

وتردد السائق لحظة .. هل يذهب بهذا المجنون الى حيث يريد، ام يطلب منه ان يغادر العربة ؟.. ولكن تردده لم يطل ، فلم يلبث ان ادار المحرك ، وانطلقت العربة في طريقها الى حي الثورة .

* * *

في حديقة الريفيرا ، حول مائدة عليها زجاجات الكوكاكولا واكواب الشاي ، كانت تجلس فتاة فاتنة ، وهي تتبادل نظرات حائرة ذاهلة مع شاب يجلس معها حول المائدة .. كان كل منهما لا يدري ماذا يفعل ، او ماذا يقول .. واخيرا كان الشاب هو البادي بالحديث، سألها :

ـ أهذا هو ؟

ـ نعم انه هو ..

ـ لماذا لم تتحدثي اليه !

ـ ماذا اقول له ؟.

ـ توضحين الامر .. تخبرينه بكل شيء .

ـ هل تظنه يفهم .. او يعذر ؟

* * *

.. كان سائق عربة التاكسي يسوق بحذر ، نصف باله الى الطريق والنصف الاخر يراقب المجنون ، خشية ان يعاجله بضربة على قفاه ، او يقفز من العربة وهي سائرة ، فيسبب له متاعب هو في غنى عنها ، ولكن هذا كان في عالم اخر .. كان يعيش مع ماضيه وامانيه واحلامه.

هو من ابناء الشمالية ، اتم دراسته الثانوية بمدرسة دنقلا، وكانت شهادته تؤهله لدخول الجامعة ، ولكنه لم يكن راغبا في الدراسة ، كان يستعجل الوظيفة ، وقد تم له ما اراد ، وعين في الدامر قريبا من اهله واقاربه في عطبرة .. وعاش حياة مستقيمة لا يدخن ، ولا يسكر، ولا يعرف النساء ، وكان والده ميسور الحال ولذلك كان اكثر مرتبه يذهب الى دفتر التوفير في مكتب البريد ، وكان حلم والدته ان تراه عريسا ، وما من مرة ذهب للبلد ، الا وحدثته في امر الزواج ، وخيرته بين عدد من فتيات القرية الجميلات .

تذكر كيف كان يراوغها ، ويختلق مختلف الحجج ليهرب من العيد الذي كانت تريد ان تقيده به ، وذات مرة اضطر ان يقول لها الحقيقة، اخبرها انه لا يريد الزواج من البلد ، وانما نفسه في واحدة من بنات العاصمة .. آه .. بنات العاصمة .. الفساتين القصيرة . الكعوب العالية ، الباروكات التي تجعلهن كالملكات .. الحديث الناعم .. الظرف .. الرفة .. لقد وجد نفسه مفتونا بكل هذا . بل مجنونا به . وكان ينتهز كل فرصة لزيارة العاصمة ، الى ان نجحت مساعيه، وتم نقله اليها ..

وفجأة ارتفع صوت السائق يقول له انهما قد وصلا ميدان الحارة الرابعة ، وكان المنزل الذي يقصد قريبا من الميدان ، ففضل ان يذهب اليه راجلا . فغادر العربة بعد ان نقد السائق اجره ، وفي الطريق الى المنزل ، عاد الى ذكرياته واحلامه .

منذ ان نقل الى العاصمة ، وهو يبحث ، ويبحث عن واحدة يتزوجها ، ورشحت له الكثيرات ، ولكنه كان مترددا ، وعلى الرغم من رغبته القوية في الزواج بواحدة من بنات العاصمة ، وبرغم افتتانه بهن ، كان يخشاهن ، ويحذرهن ،الى ان وقع الفأس فوق الرأس .

رآها في زواج زميل له ، سحره جمالها ، واخذته فتنتها ، ووجد نفسه يقرر ان يضع حدا لتردده .. وسعى حتى عرف من هي ومن ابوها .. وذهب الى اقرباء له بأم درمان ، واخذهم معه الى منزل والدها ، حيث وافق على ان يزوجها له ، وحدد يوم قريب لاعلان الخطبة ..

كانت تلك الليلة اسعد لياليه : الانوار تتلألأ .. الزينات .. زغاريد امه،واخته ، صوت المطرب يردد اغاني الحب واللوعة ،اصدقاؤه، وزملاؤه يملأون المكان صخبا ، وهو وهي داخل « الكوشة » ينظر اليهامفتونا، مسحورا ، يظن نفسه في حلم .

وعاش هذا الحلم الجميل طيلة الايام السبعة الماضية ، ولكنه

استيقظ الليلة ، ويا لها من يقظة ، كان مقدرا لحلمه الجميل ان ينتهي هذه النهاية الحزينة ، المؤلمة .

لم يكن قد دخل حديقة الريفيرا قبل تلك الليلة . كان قد سمع عنها ، وفي مساء ذلك اليوم كان محتارا اين يذهب ، وارتدى ملابسه ، وخرج من المنزل دون ان تكون له وجهة يقصدها ، وخطر له ان يذهب الى الريفيرا .. فذهب .

كان يتحول بين الموائد عندما سمع صوتها الذي يعرفه جيدا ، ومع ذلك كذب اذنيه ، تسمر في مكانه . وكان كل خلية فيه اذن تسمع . . انها هي .. انها هي .. واندفع نحوها في جنون ، حتى وقف امامهما ، هي والشاب الذي كانت تجلس معه ، وسألها بصوت غاضب ..

ـ من هذا ..؟

ولما لم تجبه .. صفعها بكل قوته ، ثم انتزع من اصبعها خاتم الخطبة . وغادر المكان وهو يقول لنفسه بصوت عال :

ـ بعد اسبوع .. بعد اسبوع واحد يا مجرمة ..!

وظلت هي وصاحبها يتبادلان نظرات الدهشة والذهول ..

* * *

كان الرجل يصلي العشاء عندما سمع طرقا عنيفا على باب منزله ، فلما انهى صلاته ، قام ففتح الباب ليجد ان الطارق خطيب ابنته ، دعاه الى الدخول ، وهو يحس بأن مصيبة توشك ان تقع على رأسه .

جلس الشاب صامتا ، ورب المنزل الجالس بجانبه على السرير ينظر اليه دهشا من حالته ، وقلقا من صمته ، ولما طال الصمت قال الرجل للشاب :

ـ ان شاء الله الامر خير يا ولدي !.

ـ الحقيقة .. أنا جيت افسخ الخطبة ..

ووجد الرجل نفسه يصرخ .

ـ بتقول شنو ؟.

ـ عاوز افسخ الخطبة .

ـ ليه .. حصل شنو .؟

ـ لقيت بنتك في الريفيرا مع راجل غريب ..

واحس الرجل بالضربة تقع على رأسه وتقصم ظهره ، أراد ان يقول شيئا ولكنه لم يجد صوته .. اما الشاب فقد انتزع من اصبعه الخاتم الثاني ، ووضع الخاتمين فوق السرير ، واسرع يغادر المنزل.

وجاءت أم الفتاة، فوجدت الاب يضع يديه على رأسه ويردد :

ـ لا حول ولا قوة الا بالله .

ـ مالك .؟ ـ قالتها والدة الفتاة في جزع ـ

ـ بنتك فضحتنا فضيحة كبيرة .

ـ عملت شنو ؟

ـ لقاها خطيبها في الريفيرا مع راجل غريب ..

ـ مش ممكن .. مش ممكن .. كذاب .. كذاب . بتي عندها شغل في المكتب وراحت الشغل ..

وانفجر الاب غاضبا :

ـ الله يلعن ابو الشغل .. وابو اليوم الدخلت فيه الشغل أنا لو ما الحاجة بخليها تمرق .. او تمشي المكتب !.

ـ يمكن مش هي .. يمكن واحدة بتشبهها .

ووجد الرجل في ما قالته زوجته قشة يتعلق بها الى ان تعود ابنته .. ونسي الخاتمين الراقدين بقربه على السرير .

ظل الرجل جالسا على سريره ، وزوجته على الفروة قرب رجليه، في انتظار عودة ابنتهما ، ومضت اللحظات طويلة ، مشحونة بالقلق والترقب ، وظلا على حالهما تلك ، الى ان سمعا آذان الفجر ،فقام الرجل ليصلي الصبح ، وترك زوجته تمسح دموعها المسفوحة ..

الخرطوم ـ عثمان علي نور

دار الآداب تقـــدم

امرأتان في امرأة

رواية بقلم

الدكتورة نوال السعداوي

صدرت حديثا